حرية المرأة فى الأسلام

(كتبت خصيصا لمجلة المعرفة)

بقلم الكاتبة الذائعة الصيت

مدام دى سان بوان

رئيسة تحرير مجلة فينكس

نشرنا فى الجزء الأول من المعرفة . القسم الأول من مقال حضرة الكاتبة الفاضلة نصيرة الشرق والشرقيين مدام دى سان بوان . وقد تناولت فيه الكلام على معنى الحرية وأثرها فى الغرب وانتقال ذلك الأثر الى الشرق ، والانقلابات التى نتجت عن محاكاة الشرق وتقليده للغرب ، ومنزلة كل من الرجل والمرأة من الآخر ، وتأثر المرأة المسلمة بالمرأة الغربية ومسألة الزي و (المودة) والسفور والحجاب ، وموقف الشريعة الاسلامية من ذلك كله .

والآن ننشر القسم الثانى ، وفيه تتناول السيدة الكلام على الزواج والطلاق وتعدد الزوجات والصداق وحقوق المرأة والعمل المنوط بها ..... الخ ؟

المحرر

الزواج .

لقد حرمت المرأة المسلمة حق اختيار زوجها الذى ترتضيه ، وذلك لأنه لايسمح لها برؤية خطيبها قبل الزواج ، ومع أن النبي (ص) لم يأمر بذلك فأن هذا أصبح عادة واجبة الاتباع . على أن العادات كثيرا ما تتغير .

لكن . هل حقيقة تختار المرأة الغربية زوجها ؟ الواقع المشاهد هو عكس هذا تماماً ، إذ اختيار الزوج أمر لا يقع إلا فى أحوال نادرة جدا ، والنادر منطقيا لا حكم له ، بل أكثر مما تقدم أن أمر الزواج يفرض على المرأة الغربية فرضا تاما ، وذلك إما بحكم العلاقات العائلية أو الثروة المادية أو المركز الاجتماعى ، أو ظروف أخرى كثيرة من هذا القبيل ، وإذن فاختيار الزوج لاحقيقة له ، وإنما هو وهم وخيال إذ يبنى على مصالح عائلية بحتة

والذين درسوا مسألة الزواج جيدا ، يرون أن الزيجات المختارة المبنية على الحب أو مايسمونه «زواج الحب» تفقد بهجتها بعد وقت قليل ، وعلى الخصوص إذا لم تراع فيها الاعتبارات الأخرى التى تثبت دعائم الزواج .

مسألة الطلاق

فى الممالك الكاثوليكية لم توجد فكرة الطلاق إلا فى هذه الأيام الأخيرة وهذا حينما اعتبر الزواج المدنى قانونيا ، لأن المذهب الكاثوليكى يعتبر الزواج رابطة مقدسة لايمكن أن تفصم عراها بأية حال .

وليس الزواج فى الأسلام مقدسا (بذلك المعنى الكاثوليكى الذى يفهمه الأفرنج من كلمة مقدس) ولهذا يقع الطلاق كثيرا ، ويكون فى معظم الحالات لصالح الرجل ، لكن يجب ألا يعزب عن بالنا أن حقوق المرأة المسلمة محافظ عليها بأقصى ما يستطاع . فقد قال الله تعالى « ياأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم . لاتخرجوهن من بيوتهن ولايخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة . الآية » (١)

وقد راعى الأسلام وجوب الاحتفاظ بالمرأة حتى ولو كانت فاسقة . فقد فرض للأخيرة ملجأ خاصا لها فى المنزل حيث قال تعالى «واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فأن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا » (٢)

فهل توجد هذه الحقوق لغير المسلمات ؟ كلا ثم كلا .

مسألة تعدد الزوجات

يعيب البعض على الأسلام مسألة تعدد الزوجات ، ولكن الأسلام فى الحق خلو من هذا العيب ، وبرىء من تلك التهمة . فهو لم يفرض ذلك فرضا وإنما أباحه فقط ، وذلك لأن الزمن الذى كان فيه النبى (ص) كان للرجل العربى

(١) راجع سورة الطلاق آية ١ (٢) راجع سورة النساء آية ١٥

عدة زوجات غير محدودات العدد ، فجاء الأسلام مقللا منهن بتحديد عددهن فقال تعـالى « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فأن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمـانكم ذلك أدنى ألا تعولوا »(١) وكذلك قال تعالى « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فأن الله كان غفورا رحيما »(٢)

وتعدد الزوجات ليس قانونيا فى البلاد الغربية . لكن هناك ما هو أشد وأنكى إذ توجد فيها صلات غير شرعية بين الرجل والمرأة ماتزال شائعة يرون ألا غضاضة فيها ، حتى أن الأخلاقيين أنفسهم لا ينكرونها بل يعتبرونها حقا للمرأة ، وقد جعل للرجل فى البلاد الأوربية أمتياز فى الزواج كالموجود فى البلاد الأسلامية ، وقد تسبب من تلك الصلات الشرعيـة أن أصبح الأطفال غير الشرعين يعتبرون من أبناء الأسرة

وفى الوقت الذى نجد فيه أن مبدأ تعدد الزوجات قد بدأ يتلاشى تدريجا ، نجد فى أوربا عكس ذلك تمـاما ، وخاصة بعد الحرب الأخـيرة ، التى فنى فيها عدد كبير من الرجال ، فأصبح النساء فى كل قطر يفقن كثيرا عدد الرجال ، ونجد أن هذا المبدأ بدأ يذيع فيها ـ ولو أنه غير قانونى ـ إلا أن الناس هناك بدأوا يرونه ضرورة لازمة

ولكن الأسلام الذى هو دين الفطرة ، والذى بنى على أحسن الأسس ، وجاء ليقرر لكل فريق ما يناسبه من تعدد الزوجات بشرط القدرة والعـــدل فى المعاملة . أباح وسهل ذلك لتكاثر النسل ، وارتباط المجموع بالمصاهرة . مع العلم بأنه حدد ذلك بحدود لا تتعدى

الصداق

الصداق فى الغرب غيره فى الشرق . ففى الدين المحمدى قرر على الزوج

(١) راجع سورة النساء آية ٣ (٢) راجع سورة النساء آية ١٢٩

أن يدفع لزوجه مبلغا من المال لأصلاح شأنها وقضاء لوازمها وهذا مناقض جد التناقض لتلك العادة عنـــد الغربيين . فالمرأة عندهم هى التى تدفع قيما تختلف بحسب الثروات ، وهو مايسمونه (دوطه) أى مهر . ومن تمام مهمة الزواج فى الأسلام أن يبقى للزوج فى ذمة زوجها ثلث الصداق تتقاضاه منه بموت أوطلاق أوغيرهما قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة . الآية) (١) وقال تعالى فى السورة نفسها (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا . أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا) (٢) ولقد تسخر عظيم السخرية . بل وتزدرى المرأة الغربية بالمرأه المسلمة فى هذا الموقف الذى تعتبره الأولى أنه عبارة عن مساومة بيعا وشراء ، كأن الزوج أعطاها ذلك القدر من المال لشرائها ، أو أنه استخلصها لنفسه متاعا كبقية أمتعة أثاث البيت ، وهى واهمة فى ذلك ، فليس ذلك المهر إلا معونة وحقا فرضه الشارع للزوجـــة كما بينا آنفا . بينما أن المرأة الغربية بدفعها (الدوطة) تعتقد أنها تشترى زوجها . إذ فى أوربا تعطى المرأة الصداق لزوجها حتى إذا طلقت صار ملكا لها . هذا إذا لم يكن الزوج سرقه قبل ذلك ؟ وهو غير مكلف بأن يوضح أوجه صرفه لزوجه . هذا إذا كان عقد الزواج عقدا شرعيا كما يحدث أحيانا . أوعقدا عرفيا

حقوق المرأة

أكثر من هذا أن للمرأة المسلمة حق امتلاك و إدارة ثروتها الخاصة بها . كما أن المحكمة تأخذ بشهادتها فى القضاء ولها الحق أيضا — إذا أمكنها — أن تشغل وظائف كثيرة لم تكن منحت للغربيات ، ولم يحصلن عليها إلا تدريجا ، منذ سنوات قليلة بخـــلاف المرأة الغربية فأنها تظل تحت وصاية زوجها .

---

(١) سورة النساء آية ١٩ (٢) سورة النساء آية ٢٠

فليس لها الحق فى استلام دخلها . أوفتح حساب لها فى المصارف حتى ولا يمكنها أن تودع فيها حليها بدون أخذ تصريح من زوجها . و إذا كانت أرملة . أومطلقة واحتاجت لعمل مثل هذه الأجراءات فعليها الحصول على أوراق رسمية كثيرة تثبت مركزها

هذه بعض أمثلة لحقوق المرأة الغربية التى تحسدها المرأة المسلمة المتحضرة عليها . وقد كان النساء فى أوربا قبل الحرب ، وعلى الأخص فى المدن الصغيرة قلما يخرجن منفردات من المنزل . بل كن يبقين دائما داخله وقد وضعت المرأة الغربية نصب عينيها التسلط على رب العائلة ، وهذا أقل ظهور عرفت به كيف تملى على الزوج إرادتها

المرأة والعمل

أجهدت الحرب الأفكار وتغلغلت عادات الشعب الأمريكى ـ الحديث العهد الذى ليست له تقاليد ـ فى أوربا وأثرت فيها حتى غيرت كل شىء

وبعبارة أخرى كان الفرق قبل الحرب ضئيلا بين حياة المرأة المسلمة ، والمرأة الأوربية . فكان لكل منهما مكانها الطبيعى فى المنزل ، وللمرأة المسلمة على الأخص امتيازات أكثر .

والآن فللمقارنة بينهما يجب أن نلاحظ انتشار صالات الموسيقى والسينما ، والرقص ، وغير ذلك ، ثم الملابس القصيرة الفاضحة ، وكل هذا الترف الذى لا يعد من الجمال الروحى فى شىء والذى ماهو إلا مظاهر خداعة وأبهة كاذبة ، وإن كانت فى نظر بعضهن من أهم الملاذ

ولكن ماذا يستتر وراء كل ذلك ؟ إنه جشع لانهاية له للمال ، ولأطفاء شهوة الحرية والحقوق ، ولأجابة هذه الرغبة تخلص النساء من وصاية أزواجهن ، وقيدن أزواجهن بقيود أخرى كانت أثقل من الأولى وجعلن أنفسهن عبيد العمل والراتب ، وحياة الكسب والآلات ، وأصبح على الكثيرات منهن أن يخضعن لرئيس العمل ، بدل أن كن يخضعن للزوج والأب ، وأن يجبن كل رغباته حتى

لا يفقدن وظائفهن . يحدث ذلك بينما العالم لا يزال يتمشدق بمحو الرقيق ، وقد نسى أن المرأة العاملة لا تمتلك أقل نصيب من حريتها

ولأجل أن يستر الناس هذا العار بستار من المظهر الجميل أذاعوا مايسمى (شرف العمل) وكلمات أخر جوفاء ، وأين ذلك الشرف ؟ أفى العمل الأرغامى المرهق الذى يؤدى إلى المصالح المادية ؟ أف له من شرف أفأذا اضطر الأنسان للعمل فوجب عليه الخضوع لكل مايرغم على عمله ، له أن يفخر به ؟ لقد مضى الزمن الذى كانت تستعمل فيه القوى العقلية والروحية استعمالا شريفا فأن حياة الكسب لا يمكن أبدا أن تكون مثلا أعلى يتخذه النساء . بل ما هو إلا إرغام مرهق ، والمرأة المسلمة تعرف ذلك حق المعرفة

و ذلك الاندفاع من المرأة على ميدان العمل خارج المنزل ، وهو ما اضطر إليه الكثيرات منهن ، لم ينتج غير الخسارة وخلق صناعات عديمة الفائدة تساعد على ضياع المال ، ومزاحمة الرجل فى عمله ثم استحالة وجود عمل للكثيرات ولايخفى مافى ذلك من إجهاد قوى المرأة العقلية والجسدية معا . بخلافها فى منزلها فأنها كانت مقسمة للعمل بينها و بين الرجل تقسيما طبيعيا . فعليه كسب المال ، وعليها تدبير أمور المنزل . ولكنها باحتلالها مكان الرجل فى الحياة الخارجية (ولاتنس أن البوليس النسائى بدأ ينتشر) صارت مقيدة الحرية فى واجباتها نحو أطفالها ومنزلها ، ولم يكن لديها من الفراغ مايكفى لتنظيم حياتها الداخلية ، كما كانت المرأة فيما سلف تجمع حولها وقت فراغها كل أفراد الأسرة : بعضه للسامرة والآخر للقراءة ، وجزءاً لباقى العمل حسب النظم المنزلية فى جميع الأسر كل على حسب عاداته ، ومايلائم أفراد الأسرة على حسب الميول والأهواء

وقد يعترض البعض بأنه لا يزال هناك نساء يجدن أنفسهن مقيدات بالتقاليد الماضية ، ولكن الشخصيات القوية لايمكن أن تختنق . فقد وجدت مثل هذه الطبائع فى كل العصور . ولم تشرع القوانين للشواذ ، ولكن للحالات

المطلقة . فكم ألوف من النساء العاملات لايعادلن امرأة واحدة نبغت فى علم أو فن . أو حصلت على بطوله ما ، وكيف يمكن أن يسرن فى العمل الآلى إلى ترقية المدارك العقلية ؟ ففى هـــذا العمل المذكور ليس الذكاء ضروريا للمرأة إلا فى حالات نادرة جدا . أليست الكتابة على الآلة الكاتبة طول النهار ، بل طول الحيـاة مكدة للذهن أكثر من الحياكة وتنظيف المنزل وهما نوعان من العمل اليدوى لايمنعان العقل من التفكير والتخيل ؟ أوليس العمل الآلى قد أضاع التعمق فى العلم والتخصص فيه ؟

واختصارا فأن كل مايولد الجاذبية فى المرأة المسلمة المتحضرة فى هذه الأيام ، إن هو إلا مخلفات فاسدة خلفتها الحرب الماضية للمرأة الأوربية ، فكانت من أهم الأسباب لذيوع (المودة) بين النساء ودخولهن ميدان العمل اليدوى فى المصانع الكبيرة . كما كان لها أيضا أثر غير مباشر فى انتشار الصور الفاضحة فى (السينما) مثل مناظر النساء العاريات أو القبلات المثيرة . وهل ثمة ماهو أكثر إفسادا للأخلاق وهدما لدعاماتها من تلك الفضائح الذائعـــة التى تستتر باسم الفن ؟ والنفس بطبعها لاتميل إلى الجديد فى أول الأمر كل الميل . فأذا ماتذوقته تدريجا صار فى النهاية محببا إليها

ليس الأفراط فى اللهو بذى خطورة عظيمة لأن الخطأ الواضح من الممكن أن يفكر الأنسان فى أبعاد صغار السن عنه ، ولكن ثمة ماهو أعظم خطرا ، وهو ما يستتر تحت اسم الدراسة والفن ، وبهذه المظاهر التى تحيط به وتدعو إلى احترامه ، ينتشر ويعم تدريجا بوسائل خفية كالداء المعدى الشديد الخطر

العادات الغربية والشرقية

إن التربية الغربية لا تلائم أبنـاء الشرق بحال ما ، كذلك الفنون الغربية لا توافق المزاج الشرقى مطلقا ، ومايقال عن هذين يقال عن الحياة الشرقية التى لا يمكن أن تبنى على أسس غربية

للعالم الأسلامى تقاليده وعاداته التى تلائم روحانيته العالية وعقليته الفذة

وطبائع شعوبه وأجواء أقاليمه . وإن الشعب الذى يقلد ما هو مخالف لطبيعته يفنى نفسه تمام الفناء ، ولقد يعتبر جريمة نقل بزور العقلية الغربية المركبة إلى أرض الروحانيات والعقلية الخالصة الطاهرة ، وهذا الاعتبار حق تماما ، إذ أن ذلك جريمة ضد الشرق بل ضد الأنسانية ولو أمكن للشرق أن يحمى نفسه من تلك الأباحية وهاته الفوضى الأخلاقية ، التى تنتشر فى الغرب فأنه ينقذ النوع الأنسانى كله .

وهذا ما ينبغى للمرأة المسلمة أن تتيقظ له فتغلق بابها عن كل مايأتى من العادات الأجنبية التى تأتى من الخارج ، كما يجب عليها أن تتعلم التعليم الشرقى البحت لتكون خير رفيق لزوجها ولتعرف كيف تحفظ أبناءها وبناتها من ذلك الاندفاع الأعمى الذى كان له أسوأ الأثر فى الغرب والذى كاد يقتل الشرق قتلا

ولتمنعهم من أن يصيروا كما صار كثير من أبناء المصريين الذين لم يأخذوا من الغرب إلا عيوبه ، ولم يحتفظوا من الشرق إلا بنقائصه ، والذين أدى هذا الخلط بين العادات بالكثير منهم إلى الانتحار وعلى الأخص فئة الطلبة .

واجبات المرأة

أولا — أول واجب على المرأة المسلمة أن تحتفظ بقواعد دينها الحنيف وتقوى إيمانها السليم ، وتطيع شريعتها السمحاء ، ولتعلم أن إبقاءها على جزء من تقاليد قومها غير كاف البتة ، خصوصا وهى على وشك السقوط فى هاوية التقاليد الغربية ، فأذا أرادت إنقاذ نفسها فعليها بالرجوع إلى كل التقاليد الشرقية الخالصة ، ولتعلم كل العلم بأنى أقصد الكل لا البعض لأن البقاء على البعض دون البعض الآخر ليس له قيمة مطلقا

أما رأيى فيما يجب عمله لمقاومة الأباحية الغربية ، فهو ينحصر فى أن يقام صرح الأخلاق الشرقية على أسس ثابتة ودعائم قوية من تلك الشريعة السمحاء التى جاء بها النبى العربى محمد بن عبدالله (صلعم) واضحة نقية طاهرة بينة ، والتى استخرج منها كل القوانين التى تصلح لأمته وأسس لها التقاليد التى أنتجت للأسلام عظمته

وعلى النساء الشرقيات أن يدرسن علم التاريخ بتوسع . وحينئذ سيعرفن تمام المعرفة أن الشعب الذى كانت له تلك العظمة وكان له ذلك الماضى المجيد ، يجب ألا يجعل نفسه مطية لمدنيـة أخرى أقل من مدنيته ، أو يقتفى أثر حضارة فقدت مثلها الأعلى منذ آخر العصور الوسطى ، والتى بنسيانها للمبادىء القديمة صارت متميزة بتغلب روح الفردية الشريرة التى نتجت من انتشار العـــلوم التجريبية المـادية والتى أغرقت العالم فى بحار الترف المـادى ، وجعلته معولا لهدم كل قديم فيه

ويجب على المرأة المسلمة أيضا أن تدرس الفنون الأسلاميـة الحقة لا الأفرنجية الزائفة ، وإذن فلا تقيم فى دار من تلك الدور التى تبنى على طراز (المبانى الأمريكية) بل تسكن القصور الكبيرة ، أو الدور الصغيرة المقامة على الطراز الشرقى البديع . كذلك يجب ألا تؤسسها بتلك العرائس المضحكة ، أو الأدوات الغربية المستعملة ، أو تزينها بتلك الصور التى لا توقظ فى نفس الشرقى شيئا ما من روح الفن ، بل يجب عليها أن تتخذ أثاثاتها وزخارفها ذات الشكل الشرقى الساحر التى يستبدلها الآن كثير من الناس بمثيلاتها الغربية دون تبصر ، أو تفهم للحقائق ، وإنمـا تبعا للتقليد الأعمى المرذول .

كما يجب عليها أيضا أن تحتفظ بملابسها الخاصة كامرأة شرقية وأن تحتفظ بعاداتهـا وطريقة مأكلها ، فأذا تعلمت وأرادت دراسة فن الرسم مثلا ، فلا تلتفت إلى تلك اللوحات المائية الغربية ، بل توجه همتها إلى نقش الآيات القرآنية وتسعى فى إتقانه وتعمل على اتخـاذها قبسا تهتدى بنوره ، أو تنسج السجاد وتزينه بالنقوش الأسلامية .

أليس هـــذا عملا أكثر نبلا من الكتابة على (الآلة الكاتبة) أو كتابة مراسلات الأعمـال ، أو الانزواء ساعات محدودة داخل مكتب ما ؟ أليس عملها فى البيت أشرف مقصدا وأنبل غاية ، من أى وظيفة تشغلها فى الخارج ، ولو كانت من أهم وظائف المرتبة الأولى ؟

وأخيرا فأن الأوضاع مهما كانت والقوانين مهما اختلفت فيجب ألاننسى أن القدر السيء يوجد فى كل زمان ومكان ، وذلك لأن الأنسان ليس معصوما من الخطأ ، وكما يوجد الحظ السيء يوجد إلى جانبه السعادة التامة

والخلاصة هى أن للحرية مظاهر مختلفة والأنسان لا يكون حرا إلا عند ما يتخلص من القيود الاجتماعية التى تحيط به ولا يصير حرا إلا إذا تمتع بالسلام والهدوء

وفى ظل « الحريم » يوجد الهدوء والسلام ، والنساء المسلمات إذا شغلن فراغهن تبعا للتقاليد الأسلامية يصبحن أصحاب النفوذ فى المنزل وهذا مافقدته المرأة تقريبا فى البلاد الأوربية . و ينبغى أن يعرفن أن فوق القوى المادية توجد قوى أخرى نبيلة عالية تتسلط على المادة وتسمو على كل ماهو مادى ، تلك هى روح الحقائق الباطنية

فهل لنساء الأسلام أن يكن حائلات على القوى العلوية وهل لهن أن يعرفن أنه لا يمكنهن أن يجدن الحرية إلا فى الكائن الباطنى ؟

هذا رأيى أجملته لمجلة المعرفة التى أرجو لها كل نجاح وفلاح ؟

ف . دى سان پوان

(المعرفة) تتقدم الى حضرة السيدة الفاضلة (مدام دى سان پوان) صاحبة البحث بجزيل الشكران على عظيم عنايتها بطرق هذه الموضوعات الحية ، وتوفيتها لها بحثا وتنقيبا ، وغيرتها على الشرق ونسائه ، ونسجل لها بمداد الفخر والأعجاب آيات الثناء وخالص المدح

ولا عجب فى هذا ، اذا علمنا أن حضرة الكاتبة المذكورة هى حفيدة (لامرتين) شاعر فرنسا العظيم الذى تذكره الأمة الفرنسية بوافر التجلة والاحترام بل العالم أجمع يقرر فضله ونبله ولا ينساه ؟